وَالشَّمْرَانُ[١]، وَالدُّعَاعُ[٢] وَهُوَ شَبِيهٌ بِالْهَرْمِ، وَالْإِخْرِيطُ[٣]، وَالْحُرُضُ[٤]، وَهُوَ الْأُشْنَانُ، وَالْعَرَادُ[٥]، وَالْطَّحْمَاءُ[٦] (ستأتي البقية)

كتاب
تاريخ بيروت

الصالح بن يحيى (تابع لما سبق)

ورقفتُ على نسخة مرسوم لم يُذكر اسم كاتبهِ لكتبهُ للملك السعيد بركة المذكور كتبهُ الى عزّ الدين (٧ . ومن مضمون هذه النسخة بعد اختصار التمجيد وبعض الفاظ ضربتُ عن ذكرها ما نصُّهُ : « انَّ الامراء الاجلاَّء المقدَّمين الأعزاز زين الدين وجمال الدين وسعد الدين اولاد امير الغرب أيَّدهم الله واحاط بهم علمهُ المبارك صدقاتُنا شملتهم بالاحسان

---

١) الشَّمْران على ما في اللسان : ضربٌ من الرمث اخضر وقيل ضربٌ من الحمض اخضر اغبر

٢) صُحِّف في الاصل بالرعاع . قال ابو حنيفة : الدُّعاع بقلةٌ يخرج فيها حبٌّ يتسطَّح على الارض تسطُّحاً لا تذهبُ صُعُدًا فاذا يَبست جمع الناس يابسها ثمَّ دقُّوهُ ثمَّ ذرُّوهُ ثمَّ استخرجوا منهُ حبًّا اسود يغلُّون منهُ النرائر

٣) جاء في لسان العرب : الاخريط نبات ينبت في الجَدَد لهُ قرون كقرون اللوبياء وورقهُ اصغر من ورق الرَّيحان وهو ضربٌ من الحَمض . وقال ابو حنيفة : هو اصغر اللون دقيق البدان ضخم لهُ اصول وخشب

٤) قال في اللسان : الحُرُض والحُرْض من نبيل السباخ وقيل هو من الحمض . وقيل هو الاشنان تُغسَل بهِ الايدي على اثر الطعام

٥) العراد حشيش طيِّب الريح وقيل حمضٌ تأكلهُ الابل ونابتهُ الرمل وسهول الرمل . وقيل هو من نبيل العَذاة

٦) الطَّحماء والطَّحْمة واحد : وقال ابو حنيفة : الطحمة من الحمض وهي عريضة الورق كثيرة الماء . والطحماء نبتة سُهْليَّة حَمْضيَّة . (قال) والطحماء ايضاً النبيل وهو خير الحَمض كلهِ وليس لهُ حطب ولا خشب أغا ينبتُ نباتاً تأكلهُ الابل

٧) عزّ الدين ايدمر نائب الشام السابق ذكره

اليهم صدقة مولانا الشهيد رضي الله عنهُ ورحمةٌ من ابوابنا العالية (١ وهم الآن ملازمون الباب العزيز. وكانوا يقالون من المفسدين في بلادهم ولو انهم اولادهم من اجل ما شملتهم من الصدقات واعترافهم بذلك (٢ . والآن أنهوا الى بين ايدينا الامر الذي جرى عند تجريد العسكر الى بلاد الغرب بعد موت قطب الدين السعدي لمَّا توجه المجلس السامي الامير سيف الدين الزيني (٣ فسبيت نساء الفلاَّحين وجُعلن جواري واُخذت اطفالهم فصاروا مماليك. وبلغنا ان بعض الفلاَّحين استردُّوا حريمهم واولادهم بعد دفع ثمنهم ونُهبت خيولهم واغنامهم وابقارهم وقماشهم. فلمَّا بلغنا هذا الإنهاء لم يجبنا (؟ ذلك ولا وافق غرضنا وأباهُ عدلُنا. وما كان القصد من هذا التجريد سوى تتبُّع المفسدين الذين اعتمدوا الفساد في البلاد وضبط من وافقهم على ذلك. وقد سأل اولئك الفلاَّحون الاميرَ الأجلَّ الاخصَّ جمال الدين حجّي ان يتوجه الى خدمة المجلس العالي ليلتمس من صدقات هذه الدولة ورحمتها ان يتقدَّم المجلس العالي بطلب حريم الفلاَّحين واولادهم في ايّ جهةٍ كانوا وان يُعادوا الى اهلهم وكذلك مَنْ بيع منهم وقُبض ثمنهُ فانَّنا نأمر بان يعتمد المجلس العالي طلب ذلك الشخص الذي حاول هذه الامور ويَستَعيد منهُ الثمن. وان تُطلَب خيلهم واغنامهم وابقارهم وقماشهم وتُعاد اليهم ولو كان ذلك عند امير او جندي او مقرّ او تركماني او عند ايّ كانٍ كان لانا قد انكرنا كون نساء المسلمين يُسبَيْنَ وتُسترَقّ اولادهم. وقد سألوا ان يُطَّلع على اولادهم فمن كان منهم من اهل الفساد وهو مدرك إدراك الرجال يبقى في اعتقال السلطنة خلَّد اللهُ بقاءها وتحت رحمتنا. ومن كان خلاف ذلك وهو دون البلوغ او لم يَبدُ منهُ فساد فقد طلبوا من صدقاتنا الانعام عليهم بحضور

(١ في هذا الكلام بعض التباس . ولا نعلم من المُراد بهذا المولى الشهيد أهو عليّ او الحسين او الحاكم بامر الله

(٢ كذا في الاصل ولا يخفى ما في هذا الكلام من الابهام والتعقيد. ولعل المراد انَّ التهمة وقعت عليهم زورا وهم ممن شملتهم نِعَمُنا يعترفون بافضالنا وانَّما المذنبون اولادهم. وجاء في حاشية بالحف الكتاب ما نصُّهُ: « اقوال الناس الثالثة انَّ نجم الدين محمد المذكور هو الذي قتل القُطب . وقيل ان القطب حضر الى كفرعمّيه فوُجد عند الصباح مقتولًا وأخفى قاتلُهُ نفسَهُ ولم يتحقَّق الناس الامرَ فاتَّهموا به نجم الدين المذكور. وزعم البعض انهُ قُتِل بإياز زين الدين طي ولكنَّ الخبر الاوَّل اشهر واكثر رواةً واوضح لانَّ زين الدين بن طي كان مستقلًا. وقال البعض انَّ غلام القطب حمل جثَّة سيّدهِ ورماهُ في دار السعادة والله اعلم »

(٣ لم نطلع على شيء من اخباره

الجميع الى الباب الشريف ويُقبَّح للامير جمال الدين حجي في العود الى الديار المصرية ولن يحضر معهُ من اهلهِ واصحابهِ . وقد اجبنا سؤالهم ذلك لأنهم ملازمون الباب الشريف وصدقاتنا تجري عليهم وهم في إحساننا »

وتاريخ هذا المرسوم (٣ ج) ثاني جُمادى الاولى سنة سبع وسبعين وستمائة (١٢٧٨م) وهو يدلُّ على انهم كانوا قد افرجوا عن الثلاثة اي زين الدين وجمال الدين وسعد الدين وقولهُ « صدقاتنا شملتهم بالاحسان اليهم صدقة مولانا الشهيد » فهو دليل على انَّ السلطان بَرَكة هو الذي افرج عنهم من سجن ابيه . (قلتُ) فيكون الافراج عنهم فيما بين تاريخ المرسوم السابق ذكرهُ وجلوس بركة في السلطنة وهو قريبٌ من سنة وشهرين . وقد ذكرنا انَّ خبر حركة القطب بلغتهم وهم مقيمون في السجن (١

ومن الممكن انَّ الافراج عنهم كان عند سماعهم بخبر اتفاقًا قدَّرهُ الله . ولفظ المرسوم يدلُّ على ذلك . وان قلنا انهم كانوا قد حضروا من مصر الى بلاد الغرب ولمَّا جرت حركة القُطب عادوا الى مصر من سببها فاني لم اجد دليلًا على ذلك فضلًا عن انهُ لم يكن اتفق عود الثلاثة الى مصر بجملتهم بل كان توجَّه واحد او اثنان . والمرسوم المذكور يُذكَر فيه ان الثلاثة كانوا مقيمين في مصر . وبين حركة القُطب وتاريخ المرسوم المذكور قريب من شهرين ونصف

وبعد تاريخ هذا المرسوم خرج السلطان بَركة الى الشام وغار عسكرهُ على بلاد سيس وانقلبت الامراء عليهِ فاسرع العود الى مصر فتولَّى مكانهُ اخوهُ سلامش في شهر ربيع الاوَّل سنة ثمان وسبعين وستمائة (١٢٧٨ م) . ثمَّ خُلع وتسلطن الملك المنصور قلاوون في ثاني وعشرين من رجب سنة ثمان وسبعين وستمائة (١٢٧٩م) واستناب حسام الدين لاجين بالشام

وذكر ابن ابي الهيجاء في تاريخهِ قال في سنة سبع وثمانين وستمائة (١٢٨٨م) طلب

---

(١) ورد في حاشية الكتاب ما نصُّهُ : « ومن الناس من قال انَّ القطب قُتل باشارة زين الدين بن عليّ المذكور فان كان هذا صحيح يكون نجم الدين محمَّد ابن جمال الدين بريئًا من قتلهِ . وقيل انَّ الثلاثة المحبوسين قد حضروا الى بلاد الغرب ثم عادوا الى مصر من جهة حركة القطب واخذوا المرسوم المذكور وارسلوهُ الى دمشق على يد جمال الدين وبقي زين الدين وسعد الدين بمصر والله اعلم »

الملك المنصور امراء الجبال واخذ املاكهم واقطاعاتهم. ولم يحضر اولاد امير الغرب (٧ ج ٥) فاخرج املاكهم واقطاعاتهم. وقال غيرهُ: كان بنو تغلب من مشترة قد هيّجوا الاهوية في البقاع واثاروا الفتن فسكنهم لاجين نائب الشام وسجنهم بالقلعة وقرّر عليهم مائة الف درهم تأديباً. ثم لمّا حضر الملك المنصور لفتح طرابلس اتّصل بنو تغلب بعَلَم الدين سنجر الشجاعي شادّ الصحبة السلطانية ونقلوا لهُ عن الجبلية بصيداء وبيروت انّ بايديهم املاكاً واقطاعات بغير استحقاق. فاخرجوها جميعاً خلا ابن المُعين وكان سنجر المذكور قد ضربهُ واخذ خطَّهُ بخمسين الف درهم فاعتذر الى سنجر عن خروج اقطاعه بما عليهِ لخزانة فلم ينزعوا عنهُ اقطاعهُ (١. وممّا كانوا اخرجوهُ املاك اولاد امير الغرب واقطاعاتهم. وكانت أملاكهم بمكاتيب مثبتة بالشرع الشريف فجعلوه لخلعة طرابلس لمّا فُتحت وكان فتوح طرابلس في اوّل ربيع الآخر سنة ثمان وثمانين وستمائة (١٢٨٩م)

فلمّا تُوفي الملك المنصور قلاوون تسلطن ولدهُ الملك الاشرف خليل بن قلاوون (٢ في سابع ذي القعدة سنة تسع وثمانين وستمائة (١٢٩٠ م) وقبض على لاجين (٣ نائب الشام وجعل مكانهُ علم الدين سنجر الشجاعي (٤. وفي ايّام الملك الاشرف خليل بعد فتوحهِ لصيداء وبيروت استرجع اولاد امير الغرب إقطاعهم عن الحلقة الطرابلسية وجعلوها على درك بيروت. وما كان تأخر من اقطاعهم بلا استرجاع استرجعوهُ في أيّام اخي الملك (٥ ج ٥) الاشرف (٥ وهو الملك الناصر (٦ بن محمّد بن قلاوون في اوّل سلطنتهِ الاولى. وكانت سلطنة الملك الناصر المذكور بعد قتل اخيهِ الملك الاشرف خليل في العشر الاوسط من محرّم سنة ثلاث وتسعين وستمائة (١٢٩٢ م) وهي سلطنتهُ الاولى. وسنذكر ان شاء

---

١) جاء في حاشية للمؤلف ما نصّهُ: «من الاصل: وفي ايّام سنجر المذكور قد مُلك زين الدين بن علي وضيّق السجاعي عليهِ وآذاهُ. ومن الدليل على ذلك قصّة بخط بُختر ولد زين الدين المذكور الذي كان بأمر الطبلخاناة. وهي تتضمّن انّ ولدهُ زين الدين قُبض عليهِ وصُودر. وقد كتبتُ بصحّة هذه القصّة ولصقتها تجاه هذه الورقة ويجب ان تكون في اصل هذه الترجمة عند ذكرنا قتلة علم الدين السجاعي في الجبلية بصيداء وبيروت. وهذه القصّة المذكورة وجدتُها بعد كتابة هذه الاوراق ولو وجدتها قبل ذلك لكتبتها في الاصل» كذا ورد في الاصل ولم نجد هذه الورقة المشار اليها لعلّها سقطت من الاصل

٢) راجع ص ٢٢٦ و ٢٢٧ ٣) راجع ص ٢٣٠ ٤) راجع ص ٢٢٧

٥) قلتُ ولمّا استرجعوا الاملاك والاقطاعات بقي الجميع في ديوان الجيش فتزل وتمرروا عليهِ غيرهُ من الجند (كذا) وصار الملك اقطاعاً ٦) راجع ص ٢٧٤

الله تتمّة الكلام في الاقطاعات عند ذكرنا للدول وما كان في ايّام ناصر الدين الحسين ابن خضر من الحوادث . وقد رأيت بخطّ بعض السلف انّهُ عقيب فتوح بيروت في ولاية شهاب الدين بن برق (١ حضر الى بيروت ستّ شواني وواقعوا المسلمين وقعةً لم يعهدوا مثلها . وذكروا انّ صاحب بيروت كان في الشواني المذكورة (ستأتي البقية)

رواية الشقيقتين

للاب هنري لامنس اليسوعي

(تابع لما قبل)

ما فاضت نفسُ الراهبة التقيّة حتّى سُمعت ساعة برج القديس اسطفانوس تدقُّ نصف الليل . وانفتحت وقتئذٍ ابواب ملاعب العاصمة النمسوية فانبعثت منها الانوار والاصوات الموسيقية . وكان النمسويون يخرجون منها زرافاتٍ . حتى امتلأت الشوارع بشرًا منهم يركبون العربات الناهبة بهم الارض نهبًا فيسمع لها اعظم دويّ ومنهم يسيرون مشاةً فرقًا فرقًا يتحدّثون بتلك اللهجة الحسنة التي عُرف بها سكّان ڤينة . على انّهُ لم يمضِ المديد من الزمن حتى عاد السكوت والسكون الى تلك الشوارع التي اصبحت كالقفر خلوة من بني آدم

بيد ان الجرس الذي في قبّة دير « الراهبات الممرّضات » كان اذ ذاك يرنُّ رنّة الحزن وكان صوت الجرس الشبيه بانين الباكي او تأوُّف الشاكي يعلنُ للممرّضة القليلين المتأخرين في الاياب الى منازلهم ان نفسًا من النفوس اجتازت من هذه الدنيا الى ما وراء ابواب الابدية

١٤

وكانت الحيوة قد اصبحت علقمًا مرًّا على المسيو ب . وزوجته بعد ان رحلت عنهما الراهبة اغنس وسمها بانحراف مزاجها . اجل ان وجود تلك الراهبة عندهما كان من شأنهِ ان

(١ يظهر من قرينة الكلام انّ شهاب الدين بن برد كان والياً على بيروت من قبل ملوك مصر الشراكسة في ايّام الاشرف خليل بن قلاوون